ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Ibtisam Salman Saeed

University of Baghdad Cllege Of Education For Women

Email: ibtessam.Said@coeduw.uobaghdad.edu.iq

Keywords:

John Cabot and his Role In English Geographical Discoveries.

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 20.Jul.2024

Accepted 4.Aug.2024

Published 25.Aug.2024

John Cabot and his Role In English Geographical Discoveries

A B S T R A C T

England was delayed in the field of geographical statements from the rest of the European countries, due to its preoccupation with the 100 - year war and the civil war that was called the War of the two roses. John Kabout visited it several times and admired its geographical location, and realized the importance of the Bristol port for scout trips, but he did not get enough support for his project, then It returned to it in the year 1496 after the stability of the political and economic conditions in it and the coming of a new ruling family, the Al -Tudor family, which represented the beginning of the Renaissance in the country, as well as the development of the English society that has become a majesty to accept scientific and intellectual developments such as the theory of footballing the earth, and reaching the east on the West side .

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol56.Iss2.4026

جون كابوت ودورهُ في ألكشوف الجغرافية الانكليزية

أ.م.د. أبتسام سلمان سعيد
جامعة بغداد / كلية التربية للبنات

الملخص :

تأخرت إنكلترا في مجال الكشوف الجغرافية عن بقية البلدان الأوربية؛ ذلك بسبب إنشغالها بحرب المئة عام والحرب الأهلية التي سميت بحرب الوردتين، يُعدُّ جون كابوت واحداً من أوائل المستكشفين الأوربيين الذين اكتشفوا قارة أمريكا الشمالية بدعم من الملك الإنكليزي هنري السابع، إذ وضع بذلك الحجر الأساسي لعملية الاستكشافات والاستعمار الإنكليزي في آن واحد.

فقد زارها جون كابوت مرات عِدّة وأعجب بموقعها الجغرافي، وأدرك أهمية ميناء بريستول للرحلات الكشفية إلا أنه لم يحصل على الدعم الكافي لمشروعه، ثم عادَ إليها في سنة ١٤٩٦ بعد استقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية فيها ومجيء أسرة حاكمة جديدة هي أسرة آل تيودور، التي مثلت بداية عصر النهضة في البلاد، فضلاً عن تطور المجتمع الإنكليزي الذي أصبح مُهيأً لقبول التطورات العلمية والفكرية مثل نظرية كروية الأرض، والوصول إلى الشرق من جهة الغرب.

الكلمات المفتاحية: هنري السابع ، هنري الثامن ، ماركوبولو، كرستوفركولومبوس.

المقدمة:

نالت شخصية المستكشف الإيطالي جون كابوت اهتمام عدد كبير من المؤرخين المعاصرين من الأوربيين والأمريكيين، وأصدرت دور النشر العالمية والمؤسسات الأكاديمية الأجنبية عشرات المؤلفات والدراسات حول شخصيتهِ وأثرهِ في مجال الاستكشافات الجغرافية واستطاع عدد من الباحثين العثور على وثائق تناولت إنجازاتهِ، فضلاً عن الاهتمام بِخرائطهِ المحفوظة في متاحف إسبانيا وإيطاليا.

لم تعطِ الدراسات التي تناولت سيرتهِ الشخصية سواءً منها القديمة أم الحديثة اهتماماً لجانب رحلاتهِ إلى الشرق والمدن العربية. وحصولهِ على التدريب الملاحي الكافي على أيدي عدد من البحارة العرب، واكتفت بالإشارة إلى اهتمامهِ بدراسة النظريات العربية والإسلامية منها على سبيل المثال لا الحصر، نظرية كروية الأرض التي كانت أساساً لمشروعهِ الملاحي في الوصول إلى الشرق بالاتجاه غرباً عبر المحيط الأطلسي. في حين أشار جون كابوت إلى ذلك أثناء قيامه بعرض مشروعهِ أمام مجلس الملك الإنكليزي هنري السابع، وقد دونت أمانة المجلس تلك الطروحات، وأصبحت جزءً من أرشيف البلاط الملكي الإنكليزي، وأساساً لحركة الاستكشافات الجغرافية الإنكليزية. .

كان اكتشاف العالم الجديد من الأحداث البارزة في تاريخ العالم الحديث، في رحلات سميت بالاستكشافات الجغرافية، قادها أشخاص لديهم شغف الاستكشاف والترحال وجاء من ضمنهم الملاح جون كابوت ، الذي أبحر تحت الراية الملكية الإنكليزية ، تلخصت رحلاتهِ، بثلاث رحلات أسفرت عن اكتشاف كندا، والساحل الشمالي الشرقي لقارة أمريكا الشمالية.

اكتنف الغموض سيرة جون كابوت، إذ لم يسجل مذكراتِه الشخصية كما فعل غيرهِ من المستكشفين أمثال "فاسكودي جاما" وكرستوفركولومبس، ويعود سبب ذلك، لكونه عاش مدة من الزمن في مملكتي إسبانيا والبرتغال، من أجل الحصول على

دعم ملوكها في القيام برحلة استكشافية للوصول إلى قارة آسيا عبر الاتجاه غرباً في المحيط الأطلسي. إلا أن محاولاتهِ باءت بالفشل، إذ سبقهُ في ذلك المجال عدد من المكتشفين الذين اتجهوا عبر المحيط الأطلسي لكن باتجاه الجنوب.

فأدرك مديات التنافس المحموم بين المملكتين، في مجال الاستكشافات الجغرافية، وتعرف على طبيعة البحارة والملاحين الذين عملوا في ذلك المجال وقتذاك، فمادام أولئك الملوك أستعانوا بعدد من القراصنة المتوحشين، واللافت للنظر أن نهاية جون كابوت كانت غامضة أيضاً، وذكر المؤرخين روايات عِدّة حول وفاته، منها قيام ملكة إسبانيا إيزابيلا الأولى بتدبير عملية قتله وسرقة خرائطهِ بالتعاون مع أحد القراصنة المتوحشين من التابعين لها.

تكمن الإشكالية التي يطرحها هذا البحث في التعرف على عمق الأثر الذي تركه جون كابوت في حركة الكشوف الجغرافية الإنكليزية.

كان الهدف من هذه الدراسة تحقيق غايات تاريخية عِدّة: حاولت الباحثة منها الإجابة عن مجموعة من الأسئلة من بينها: أسباب اتخاذ جون كابوت الممر الشمالي الغربي طريقاً للوصول إلى الصين واليابان على الرغم من علمهِ بصعوبة ذلك الطريق ومخاطرهِ؟ ما هي أسباب رفض جمهورية البندقية وملوك اسبانيا والبرتغال لمشروعه ؟ ماهي أسباب تولي ملك إنكلترا هنري السابع رعاية مشروعهِ الاستكشافي؟

اعتمدت الدراسة مجموعة من المصادر يأتي في مقدمتها الوثائق الأجنبية المنشورة على الموقع الإلكتروني:
https://www.heritage.nf.ca/toc/exploration-table-of-contents.phpexpearly

وجاءت أهمية تلك الوثائق في كونها ضمت أربع رسائل كتبت في الأشهر التي تلت عودة جون كابوت من رحلتهِ الاستكشافية في عام١٤٩٧ على يد أشخاص غير مشاركين في الرحلة، لكنهم نقلوا تفاصيلها عن جون كابوت نفسهِ، وطاقمهِ المشاركين في تلك الرحلة.

قُسمت هذهِ الدراسة إلى أربعة مباحث، تضمن المبحث الأول فقرتين عن حياة جون كابوت ونشأته، والفقرة الثانية تناولت انتقالهِ إلى مدينة البندقية، في حين تضمن المبحث الثاني أهمية مؤلفات العرب والمسلمين في رحلات جون كابوت، ورحلاتهِ إلى المدن العربية، أما المبحث الثالث فتناولنا فيه رحلات جون كابوت إلى مملكتي إسبانيا والبرتغال وتأثرهِ في إنجازات كرستوفركولومبس، وأهمية ميناء برستول في رحلات جون كابوت لاستكشاف العالم الجديد، أما المبحث الرابع؛ فجاء لدراسة حصول جون كابوت على الدعم من الملك الإنكليزي هنري السابع، أما الفقرة الثانية فتضمنت جون كابوت واكتشاف الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية وتناولت الفقرة الثالثة وفاتهِ، فضلاً عن الخاتمة التي ضمت أبرز الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة.

حياته ونشأته:

ولد"جون كابوت" John Cabot، أو كما يسمى في إيطاليا "بجيوفاني كابوتو" Giovanni Cabot في مدينة "جنوى"[*]Genoa الإيطالية سنة ١٤٥٠ لأسرة تعمل في التجارة، إذ كان والده جوليوكابوت" Julio Cabot من تجار

(*) جنوى: مدينة إيطالية تقع في شمال غرب إيطاليا، وهي عاصمة إقليم ليجوديا والميناء الرئيس فيها، ازدهرت في مدة حكم الرومان، وأدى نموها إلى أن تصبح في القرن العاشر كومون مستقل وحر يحكمهُ قناصل، وشمل نفوذها مناطق واسعة من إسبانيا حتى القرم، تعدُ كنيسة سان دوناتو، وكتدرائية سان لورنزو من أهم الشواخص الحضارية. (غربال، ٢٠١٠، ص١٢٣٦)

مدينة "البندقية" Vanice التي انتقل للعيش فيها برفقة ابنيه جون و"بيدرو"Pedro سنة ١٤٦١. (Champion,2004, P.4)

واستقرت الأُسرة في جزيرة تسمى "شيوجا" Shuga التي تُعد واحدة من أهم جزر البندقية آنذاك. (Wear, 1897, P.96)

تلقى جون كابوت تعليمهِ الأولي في الكنيسة الكاثوليكية، وكان يجيد اللغة اللاتينية واللغة الإسبانية لمكوثهِ مدة من الزمن في إسبانيا، كما حاول أن يتعلم اللغة الإنكليزية إلا أنهُ لم يتقنها بشكلٍ جيد الأمر الذي سبّب لهُ صعوبة في التفاهم مع البحارة الإنكليز الذين شاركوا في رحلاتهِ، لم يحظَ كابوت بقدرٍ من التعليم العالي، لكنهُ امتلك عقلية فذة في مجال الملاحة، وقد تعلمَّ فنونها وطرائق رسم الخرائط البحرية وقيادة السفن، وعرف استخدام البوصلة من عملهِ مع أشهر البحارة الإيطاليين وهو "اندريا بيانكو" Andria Bianco أحد أبرز علماء رسم الخرائط والملاحة في إيطاليا. (Champion, 2004, P.5)

زعمت المصادر بأن جون كابوت ينحدر من أسرة فقيرة وذلك الأمر يتعارض وكون والدهِ تاجراً ،حتى أن اسم كابوتو الذي يعني بالإيطالية البحار قد أسبغت عليه بفضل عملهِ في مجال التجارة. (Bastable, 2004, P.6-7)

سار جون كابوت على خطى والدهِ في العمل بالتجارة، لاسيما بعدَ أن انتقل مع أسرتهِ إلى البندقية سنة ١٤٦١، وقد ساعدَ والدهِ في إدارة أعماله، كما تزوج سيدة تدعى (ماتيا)Matia في سنة ١٤٧٠، تنتمي لعائلة برجوازية، عملت في مجال تجارة العقارات أيضاً، وأنجب منها ثلاثة أبناء هم "لويس" Louis و"سبستيان"Sebastian(*) الذي شارك والدهِ في رحلاته الاستكشافية وأكمل مسارهِ في ذلك المجال، أما ابنهُ الثالث فيدعى "سانسيو"Sansyo. (Harriss, 1896, P.45)

نشاطات جون كابوت في جمهورية البندقية:

ذكرنا أن جون كابوت استقر في مدينة البندقية، وكانت تلك المدينة أكثر تميزاً من مدينة جنوى، إذ امتلكت بيئة خصبة لممارسة النشاط التجاري، فكانت تتمتع بحكم ذاتي، وتُعد من أهم موانئ أوربا التجارية، وأنشأت ستة أساطيل بحرية، وحددت موانئ كلّ أسطول في البحر الأبيض المتوسط، فضلاً عن احتوائها على القنوات المائية والجسور، واتخاذ القوارب فيها كوسيلة للتنقل. (أباظة، د.ت، ص٢٧)

ساعدت الإمكانات التجارية المتطورة في البندقية جون كابوت على ممارسة التجارة وتحديداً تجارة الجلود وعملَّ في مجال بيع وشراء العقارات، إلى جانب اهتمامهِ بقراءة الكتب الفلكية والجغرافية، منها كتاب "وصف العالم" للرحالة الإيطالي "ماركوبولو"(*)Marcopolo فقد أمضى الأخير سنوات عِدّة في مملكة المغول في آسيا وزار بلاد فارس، ثم عاش مدة طويلة في أحدى المدن الصينية، وصف بولو تلك البلدان بكونها أرض الحرير والتوابل، وذكر أن معلوماتهِ الجغرافية قد استقاها من خرائط العرب والمسلمين، واستخدم الكثير من الأعلام الجغرافية في صيغتها العربية والإسلامية، من هنا واظبّ

(*)سبستيان كابوت: وهو الابن الثاني لجون كابوت، ولد في البندقية سنة ١٤٧٣، سارَ على خطى والدهِ في المغامرة والاستكشاف في العالم الجديد، لكونهِ شارك والدهِ في رحلتهِ الثانية سنة١٤٩٧، دخل في خدمة التاج الإسباني سنة ١٥١٨م، ثم عادَ إلى إنكلترا سنة١٥٤٧، اكتشف الممر الشمالي الشرقي واستطاع الوصول إلى روسيا وأسس شركة تجارية إنكليزية فيها، توفي سنة ١٥٨٨م. (Harriss, 1896, P.44)

(*) ماركوبولو: تاجر ورحالة إيطالي ولد سنة ١٢٥٤، لأسرة ثرية من تجار مدينة البندقية الإيطالية، توفيت والدته وهو صغير، وعاش مدة طويلة بعيداً عن والده بسبب أسفارهِ الكثيرة، حتى أشتد عودهِ وبلغ السابعة عشرة من عمرهِ، فانطلق مع والده في رحلات خارجية كثيرة إلى الشرق، وقد وصلوا إلى بلاط ملوك المغول في آسيا، وأصبح أثيراً لدى الملك المغولي قبلاي خان وشغل منصب حاكم مدينة صينية ومسؤولاً عن مجلس الملك، ثم أصبح مفتشاً للضرائب في المملكة المغولية، عادَ ماركوبولو إلى بلاده سنة ١٢٩٠م، وعكف على تدوين رحلاتهِ وملاحظاته في البلاد التي زارها ومنها الصين، وهو ما أثار دهشة الإيطاليين لما قرأوه في وصفهِ للشرق، توفي سنة ١٣٢٣م أثر مرض عضال. (غربال، ٢٠١٠، ص١٢٣٦)

جون كابوت على قراءة تلك المؤلفات التي شاعت في عصرهِ، ولعل أبرزها نظرية كروية الأرض. (غربال، ٢٠١٠، ص١٢٣٦)

اعتقد الأوربيون أن الأرض عبارة عن قرص كبير تحيط بهِ البحار، ومركز ذلك القرص هو بيت المقدس في فلسطين، وأن تلك البحار تنتهي بجدران تشدها إلى السماء، وتتحول تلك البحار في الشمال إلى كتل جليدية، وفي الجنوب إلى بخار لشدة الحرارة، وقد أرتبطت تلك التصورات بالخرافات التي كانت تشيعها الكنيسة الكاثوليكية أيام العصور الوسطى، وكانت المعلومات حول السفر غرباً في المحيط الأطلسي تخيف البحارة والملاحين كوجود وحوش تلتهم السفن، ولا يمكن لأحد النجاة منها، لكن ذلك لم يستمر طويلاً، فقد سعت الطبقتين الارستقراطية والبرجوازية الناشئة إلى الخروج على أفكار الكنيسة ومعتقداتها وعمدت أسرة "آل مديتشي"(**) إلى تأسيس كلية للترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية، واحتفظت تلك الكلية بمعظم المؤلفات العربية النادرة في الرياضيات والفلك والجغرافية التي شكلت المادة الأساسية لعلمائها، وفي السياق نفسه، أسست تلك الأسرة عدد من المطابع التي أخذت على عاتقها عملية نشر تلك المؤلفات، وهنا لابدّ من الإشارة إلى دور الأمير "هنري الملاح"(***)،الذي أسس دور للطباعة والنشر، فضلاً عن تأسيسه مركز للأرصاد الفلكية والفنون الملاحية، وأعتمد بشكلٍ أساسي على خبرات العرب والمسلمين في ذلك الجانب. (فولو، ٢٠١٤، ٣٠)

أهمية مؤلفات العرب والمسلمين في رحلات جون كابوت:

أسهم تجار مدينة البندقية وسواهم من تجار المدن الإيطالية الأخرى في نشر المؤلفات العربية والإسلامية في أوربا – وقدر تعلق الأمر بموضوع دراستنا– يأتي في مقدمة أولئك العلماء، العالم الفلكي المسلم أحمد بن كُثير الفرغاني نسبة إلى مدينة فرغانة في أوزبكستان المتوفى سنة ٨٦١م، الذي حدّد قطر الأرض بـ(٦٥٠٠) ميل، كما حدد المسافات بين البلدان وحجم الأرض (عبوش، ٢٠١٩، ص٥٠)، كما توصلّ العالم المسلم ابن رستة المتوفى سنة ٩٠٣م، إلى نظرية كروية الأرض، قائلاً: (داودي، ٢٠١٢، ص٢٧٤) **"إن الله عز وجلّ وضع الفلك مُستديراً كاستدارة الكرة والأرض مستديرة أيضاً كالكرة"** ووضع ابن رستة البراهين والدلائل على ذلك بقوله (داودي، ٢٠١٢، ص٢٧٥): **"إن الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوحد طلوعها وغروبها على جهات الأرض في وقت واحد، بل يرى طلوعها في الجهات الشرقية لحظة غيابها عن الغربية"** وأشار ابن رستة الى أَن ذلك يظهر جلياً في الأحداث الكونية التي تُعرض في السماء، مثل خسوف القمر، وكسوف الشمس. (عبوش، ٢٠١٩، ص٤٦)

وركز الأوربيون على كتاب "الفصل في الملل والأهواء" للعالم علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي (٩٩٤–١٠٦٤م) الذي درس موضوع كروية الأرض وصاغ تلك النظرية على نحو دقيق، وتناول تلك النظرية تحت عنوان "مطلب بيان كروية الأرض". (مقبل، ٢٠٠٣، ص٩٨)

أهتمت مطبعة آل مديتشي الإيطالية في روما بترجمة مؤلفات الشريف الأدريسي (١١٠٠–١١٦٤م) ولاقت اهتماماً شديداً في أوربا، منها كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ، فقد سافر الأدريسي إلى أقصى شمال غرب أوربا، بمعية

(**) آل مديتشي: من أشهر الأسر في تاريخ إيطاليا، ويُعد لورنزو دي مديتشي (١٤٤٩-١٤٩٢) Lorenzo de Meidi المعروف بـ"لورنزو الرائع" من أبرز حكام تلك الأسرة. (عوض، ١٩٨٧، ص١٠٦)

(***)هنري الملاح: ابن الملك البرتغالي جون الأول، ولد سنة ١٣٩٤ ويُعدّ هنري أول من فكّر بتأسيس مدرسة بحرية لتعلم الملاحة في لشبونة، وكان الحافز لذلك هو اشتراكه في حملة بحرية أعدها أبوه للاستيلاء على ميناء سبتة، فعين هنري حاكماً عليها سنة١٤١٥، وحاول الاستيلاء على طنجة سنة١٤٣٦، لكنهُ أخفق في ذلك، واستمر بإعداد حملات عسكرية من أجل السيطرة على سواحل مراكش المطلة على المحيط الأطلسي، كما أنهُ يُعد أول سياسي يفطن إلى أن البحر ليس النهاية التي يقف عندها النشاط الإنساني ولكنه طريق رئيس لتجارة الإنسان، توفي سنة ١٤٦٠م. (هامرتن، د.ت، ص٢٨٤)

مجموعة من المكتشفين والرحالة الذين امتازوا بالفطنة والذكاء، ودقة المشاهدة، وتمحيص المعلومات، فضلاً عن براعتهم برسم الخرائط، فقاموا برسم ما شاهدوه وتم تثبيت تلك المعلومات على خارطته التي حملت اسمه (عبد العليم، ١٩٩٠، ص١٦٥)، وما زالت متاحف إسبانيا وإيطاليا تحتفظ بنسخٍ أصلية من تلك الخارطة، رسم الأدريسي خارطته موضحاً شكل الأرض بكونه بيضوي ومحاط بالمياه من الجهات الأربعة، وقسمها على نصفين شمالي وجنوبي، يفصلهما خط الاستواء، واستطاع الأدريسي رسم سواحل البلدان الواقعة في شمال غرب أوربا منها إنكلترا وإيرلندا واسكتلندا وبعض الجزر الواقعة في شمال المحيط الأطلسي، فكسر بذلك حاجز الخوف الذي سادَ أوربا، وقتذاك، لكون معلوماتهم عن تلك المنطقة اعتمدت على الخرافة والأساطير، من ذلك أنهم أطلقوا على المحيط الأطلسي تسمية بحر الظلمات. (عبوش، ٢٠١٩، ص٤٠)

واجتهد الشريف الأدريسي في حساب الأبعاد الصحيحة على الأرض، ومن ثمّ نقلها إلى المقياس المطلوب في الخارطة، فضلاً عن ذلك، قسم الأقاليم المناخية عليها، وجعلها تتدرج من خط الاستواء إلى القطب، ووضع رسم تلك الخارطة في كتابهِ نزهة المشتاق، فضلاً عن ذلك، قسم الأرض على سبعة أقاليم أساسية وخصص القسم السابع لمنطقة شمال غرب أوربا، ومن الجدير بالذكر، أن أسرة آل مديتشي قدمت له الدعم اللازم من أجل إنجاز مشروعه الإستكشافيِ. (الحايك، ١٩٩١، ص٣٢)

تمكن الكاردينال الفرنسي "بيير دي إيلي" P.D.Ailly من جمع تلك النظريات وترجمتها إلى اللغة اللاتينية ونشرها في كتاب بعنوان "وصف العالم" ظهرت طبعة ذلك الكتاب لأول مرة في مدينة "لوڤين" Leuven البلجيكية سنة ١٤١٠، وتكررت عملية طبع ذلك الكتاب، ومما جاء فيه: "**إن العرب الأوائل يُشبهون شكل الأرض بالإجاصة، ويقولون إن في وسط نصف الكرة الأرضية المعروف بذروة العالم قُبة تُعرف بـ(قبة أرين) وأنهم يحسبون خطوط الطول بداية من خط زوال بلدة أرين الهندية، وهي مكان يمر بهِ خط منتصف النهار، ويستوي فيه طول الليل والنهار**" وذكر بيير دي إيلي أنهم يعتقدون بوجود مركز آخر للأرض في نصف الكرة الغربي في مواجهة (قبة أرين) على موضع أكثر ارتفاعاً من مثيله في الجهة الشرقية من الكرة الأرضية. (كلوزيبه، ١٩٨٢، ص٥٧)

كانت تلك القراءات المستفيضة الخطوة الأولى في مشروع جون كابوت لاستكشاف العالم الجديد، فقد أزالت تلك المعلومات الجغرافية من رأسهِ الكثير من الشكوك والأوهام، وأصبح شديد الاهتمام بالكشوف الجغرافية الجديدة، وأراد أن يحقق تلك المعلومات عملياً، فقرر السفر إلى الشرق سنة ١٤٨٠م.

رحلاتهِ إلى المدن العربية:

انضم جون كابوت للعمل في إحدى الشركات التجارية في مدينة البندقية بصفة وكيل تجاري، وكان لتلك الشركة فروع في مدينة الإسكندرية فسافر إليها مراتٍ عِدّة، وجمع معلومات عن بضاعة الشرق والأسواق المحلية والمراكز التجارية هناك، وعرف أيضاً أن مكة المكرمة من أبرز تلك المراكز، إذ تُجمع هناك التوابل ومواد الشرق الثمينة، فسافر إليها عبر البحر الأحمر، وبعد مُدة وجيزة قرر أن يُعلن لمن حولهِ من تجار وملاحين عرب وأوربيين عن اعتناقه الدين الإسلامي، وذكر كابوت –فيما بعد– أن ذلك كان من أجل الحصول على معلومات أعمق من أولئك التجار والبحارة حول الممرات والطرق البحرية والبرية التي تؤدي إلى مصادر تلك الثروات. (Firstbrook, 1997, P.341)

كانت تلك الرحلات كافية لزيادة معرفتهِ بالأجهزة والأدوات المستخدمة في المجال الملاحي فضلاً عن اطلاعهِ على أحدث أشكال السفن منها على سبيل المثال لا الحصر، إضافة شراع مثلث الشكل يُسير السفينة في مهب الرياح، بدلاً من الاعتماد على الأشرعة المربعة فقط، والتي لا تصلح للسير إلا في اتجاه الرياح. (Firstbrook, 1997, P.341)

أمضى جون كابوت سنوات (١٤٨٠-١٤٨٨) في دراسة المؤلفات العربية والإسلامية والاطلاع على أهم النظريات الفلكية، التي أجمعت على وجود مناطق من العالم لازالت غير معروفة ، وأصبح على يقين تام بنظرية كروية الأرض، وبدأ يخطط للقيام برحلة صوب الغرب للوصول إلى الشرق، فطرح ذلك المشروع على الشركة التي كان عاملاً فيها، وعدد من الشركات الأخرى، إلا أنهم رفضوا تمويل ذلك المشروع، وذلك لكون التجارة مع الشرق متاحة لهم، فضلاً عن كونهم سادة الملاحة في البحر المتوسط. (Wear,1897, P.98)

حاول جون كابوت الاعتماد على نفسه في تمويل رحلته الاستكشافية، وعقد صفقات تجارية عِدّة في وقت واحد، فكان مصيرها الفشل، وبهذا الصدد ذكر المؤرخ الأمريكي "توني باستابل" Tony Bastable المشكلات المالية التي واجهت جون كابوت قبل رحيلهِ عن مدينتهِ، منها قرار صدر عن حكومة البندقية في ٥ تشرين الثاني ١٤٨٨ بإلقاء القبض عليه، ومصادرة ممتلكاتهِ كافة على أثر نزاع قانوني جرى بين جون كابوت وبعض تجار المدينة، بسبب عقود وصفقات تجارية أبرمها معهم وكان الفشل مصيرها، مما أدى إلى إفلاسه وخسارتهِ لأمواله.(Bastable,2004, P.2)، وأشار باستابل أن كابوت أستطاع سداد ما بذمته، إلا أنهُ قررَ مُغادرة المدينة والبحث عن عملٍ بغيرها. (Bastable,2004, P.8)

يبدو مما سبق، أن جون كابوت تمتع بمواهب وإمكانات علمية وذهنية فذة، على الرغم من ذلك ،أصبح فقيراً معدماً قبل مغادرة مدينتهِ، وبحسب رأي الباحثة، فأن ذلك يعود إلى كونه جمع أكثر من عمل في وقتٍ واحد، وبسبب شغفه بالعلوم الفلكية والجغرافية واهتمامهِ بصناعة بعض الآلات الملاحية ورسم الخرائط، أصبح من الصعب عليهِ متابعة التزاماته التجارية والمالية، لذا خسّر كل شيء، من هنا قرّر ترك الأعمال التجارية، والتفرغ للعمل الملاحي، وظهر ذلك جلياً في أعمالهِ اللاحقة التي اقتصرت على العمل في ذلك المجال.

رحلة جون كابوت إلى مملكتي إسبانيا والبرتغال وتأثرهِ بإنجازات كريستوفركولومبس:

توجه جون كابوت برفقة أسرتهِ سنة ١٤٩٠ نحو "فالنسيا" Valencia–شرق إسبانيا– وعُرف هناك باسم "خوان كابوتو دي مونتيكالونيا" Juan Caboto de Monte Calunya. (Jones and condon, 2016, P.22)

وعمل في مجال إعمار الموانئ، ودخل في شراكة مع تاجر من إقليم الباسك–شمال إسبانيا– يدعى غاسبار رول لتطوير ميناء فالنسيا على ساحل البحر المتوسط في آذار سنة ١٤٩٣، إلا أن المشروع لم يرَّ النور بسبب تخلي مجلس بلدية فالنسيا عن تمويل المشروع، وفي أثناء إقامته في المدنية كان الرحالة "كرستوفركولومبوس"(*) Christopher Columbus قد رجع لتوهِ من رحلته إلى البحر الكاريبي، ومرَّ عبّر فالنسيا حينما كان في طريقهِ إلى برشلونة لمقابلة الملك الإسباني "فرديناند الخامس"(*) وزوجته الملكة "إيزابيلا"(**)Isabellai، لإخبارهما برحلتهِ، فالتقى به جون كابوت،

(*)كرستوفركولومبوس: ولد في جنوة بإيطاليا سنة ١٤٣٦، لم تكن ثقافتهِ عميقة ولكنهُ كان ملاحاً ماهراً، رحلَّ إلى لشبونة سنة ١٤٧٠ حيث جذبتهُ شهرتها كمركز للعلوم البحرية في أوربا ونشاطها في مجال الكشوف الجغرافية، بلغ عدد رحلات كولومبوس إلى الأراضي الجديدة رحلات أربع، وبعد الرحلة الأخيرة سنة١٥٠٤ كان اعداؤه قد كادوا لهُ فأبعد عن البلاط وتوفي سنة ١٥٠٥. (دسوقي، ١٩٩٨، ص١٩-٢٠)

(*)فرديناند الخامس: ملك أرغون الإسبانية، ولد عام ١٤٥٢، وتزوج من إيزابيلا أميرة قشتالة، توفي سنة ١٥١٦. (البلعلبكي، ١٩٩٩٢، ص٣٢٠)

ويذهب أحد المؤرخين إلى احتمالية وجود صلة تعارف بين الطرفين حينما كانوا صغار في مدينة جنوى، على اعتبار أنهما من المدينة نفسها، ويقال أن جون كابوت قد شاهد ما جلبهُ كرستوفر من رحلته وأنبهر بهِ، إلا أن كابوت من مشاهدته لتلك البضاعة ، أيقن أن كرستوفر لم يصل الى جزر الهند الشرقية ، فما دام كابوت عرف بضائع الشرق وتاجر بها في حين كانت تلك المنتجات غريبة(Firstbrook, 1997, P.360)، فضلاً عن ذلك فقد اصطحب كرستوفر معهُ مجموعة من الأشخاص من ذوي البشرة البرونزية المرسومة الأمر الذي زادَّ في قناعة كابوت في كون كرستوفر قد وصلّ إلى أراضٍ جديدة وغير مكتشفة سابقاً، الأمر الذي جعلهُ أكثر إصراراً على قيادة رحلة في المحيط الأطلسي، وبدأ بالتفكير بشكلٍ جدي في البحث عن ممول وداعم لهُ على غرار ما حدث مع كولومبوس، فاستغل وجودهِ في إسبانيا وعرضّ مشروعهِ على الملك الإسباني فرديناند الخامس، ألا أن الأخير رفض تبني مشروعهِ الملاحي ، ذلك لتكريس دعمهِ لكرستوفركولومبوس(Shaw, 1910, P.14)، فتوجه جون كابوت إلى مدينة "لشبونة" Lisbon البرتغالية وطلب من الملك البرتغالي "جون الثاني"(***)JohnII (١٤٨١-١٤٨٥) تمويل مشروعه إلا أن الأخير تعذرَّ بكونه مقيداً ب "معاهدة توردیسیلاس" Treaty of Tordesillas المبرمة في حزيران سنة ١٤٩٤ بين إسبانيا والبرتغال التي قسمت المناطق المكتشفة حديثاً خارج أوربا ونظراً لأن جون كابوت كان يرغب في جعل خطهِ الملاحي ماراً بالمحيط الأطلسي ، فأن أي دعم يقدمه الملك جون الثاني يُعدّ خرقاً للمعاهدة المذكورة ، لذلك فقد رفض مساندتهِ في خطتهِ الاستكشافية، إلا أنهُ لم يخرج من لشبونة خالِ الوفاض فقد تعرف على بعض التجار الإنكليز فيها الذين أقنعوهُ بالمجيء إلى إنكلترا، وعرض مشروعه على الملك الإنكليزي "هنري السابع"(*)Henry VII (١٤٨٥-١٥٠٩).

لاحظنا أن حياة جون كابوت العملية كانت سلسلة من التجارب الصعبة التي جعلته يخسر ميراثه وأمواله، على الرغم من ذلك فقد امتاز بالصبر والشجاعة وحب المغامرة، وذلك ما دفعه للبحث عن عالم جديد يحقق فيه الثروة والشهرة، واللافت للنظر أنهُ حقق تلك الشهرة وأصبح محبوباً في العالم الجديد لكن بعد وفاتهِ بقرون.

أهمية ميناء بريستول في رحلات جون كابوت لاستكشاف العالم الجديد:

تقع مدينة بريستول في الجزء الجنوبي الغربي من إنكلترا المطل على المحيط الأطلسي، وعند التقاء نهري أفون مع نهر فروم، وعدَّ ميناءها من أكثر الموانئ التجارية ازدهاراً في إنكلترا، لبعدهِ عن خطر القرصنة الفرنسية التي أثرت في سواحل إنكلترا الشرقية والجنوبية إبان حرب المئة عام، إذ بقي ذلك الخط الملاحي حيوياً طوال تلك الحرب واستطاع تجار تلك المدينة تأسيس عدد من الشركات التجارية وبيوت لصناعة السفن، وكان لهم اثر كبير في تطوير ذلك الخط الملاحي الذي ربط آيسلندا وشمال غرب أوربا مع بلدان شبه الجزيرة الأيبيرية وبلدان البحر المتوسط. (Morison, 1971, P.161)

(**)إيزابيلا الأولى: ولدت سنة ١٤٥١ ابنة ملك قشتالة جون الثاني، عرفت بلقب "إيزابيلا الكاثوليكية" بسبب تعصبها الديني، أصبحت ملكة صقلية للمدة (١٤٦٩-١٥٠٤) ثم ملكة إسبانيا بعد وحدتها مع مملكة أرغون (١٤٧٩-١٥٠٤) وملكة نابولي (١٥٠٤). (Encyclopedia Britannica, 1990, P.733)

(***)جون الثاني: ولد سنة ١٤٥٥ في لشبونة، يُعد من أعظم الملوك البرتغاليين، ومرجع ذلك إلى حكمهِ وتأكيد سلطتهِ المركزية للنبلاء أو استئناف استكشاف أفريقيا والبحث عن الهند، وهو ابن الملك فونسو الخامس، أصبح جون ملكاً عام١٤٨١م وفي سنة ١٤٨٥م لقب بـ"سيد غينيا" بسبب تشجيعه للرحلات الاستكشافية حول الساحل الغربي لأفريقيا، توفي سنة١٤٩٥. (عطية الله، ١٩٦٨، ص٤٢٩)

(*)هنري السابع: ملك إنكليزي، ولد سنة ١٤٥٧م، واستولى على الحكم بعد انتصارهِ على الملك ريتشارد الثالث في معركة بوزورث فيلد، سنة١٤٨٥م، تزوج اليزابيث يورك الابنة الكبرى للملك أدوارد الرابع، فاستطاع توحيد أسرتي لأنكستر ويورك، وتأسيس أسرة جديدة سميت أسرة آل تيودور، فبدأ مع تلك الأسرة عصر النهضة في إنكلترا، رسخ حكم العدالة وأشاع النظام في إنكلترا، وأقام محكمة النجوم لمعاقبة كبار الشخصيات في المملكة مستهدفاً بذلك تصفية زعماء الطبقة النبيلة التي كانت أساس الأزمات السياسية والاقتصادية في البلاد. توفي سنة ١٥٠٩م (الوسمي، ٢٠١٦).

إلى جانب التجارة الخارجية تمتعت بريستول بتجارة داخلية ناجحة، حيث تدفقت إليها البضائع من مدن إنكليزية عِدّة بما في ذلك لندن وبليموث و"ميلفوردهافنMilford Haven ، ومع نهاية القرن الخامس عشر ضمت بريستول مالا يقل عن مئتي وخمسين تاجراً عملوا في التجارة في منطقة شمال المحيط الأطلسي. (Towns, 2019, P.43)

كان لتجار بريستول محاولات جادة في حركة الاستكشافات الإنكليزية منها على سبيل المثال لا الحصر، رحلة التاجر (جون جاي) John Jay سنة ١٤٨٠ التي دعمتها مجموعة من التجار وكان الهدف منها استكشاف موقع جزيرة البرازيل الأسطورية التي ترددت كثيراً في روايات الفايكنك والأنكلو سكسون، واستمرت الرحلة لمدة خمسة وستين يوماً ولم يُعثر على الجزيرة، وعلى الرغم من ذلك استمرت المحاولات ففي العام التالي، استطاع محصل الكمارك (توماس كروفت) تجهيز سفينتين من أجل العثور على مصائد جديدة للأسماك والتخلص من احتكار العصبة الهانزية(*) لمصائد بحر البلطيق وبحر الشمال، وقد حققت تلك الرحلة نجاحاً فوصلت إلى الساحل الجنوبي الشرقي لنيوفاوندلاند، إلا أن بحارة السفينة التزموا الصمت بشأن ذلك الكشف الجديد، من أجل الحفاظ على سرية ذلك المكان.(Ruddock, 1966, P.234)

أكدت الدراسات التاريخية أن تجار بريستول قد اكتشفوا أمريكا قبل جون كابوت بسنوات عِدّة لكنهم لم يتمكنوا بعد ذلك من العثور على طريق العودة إليها.(Quinn,1974, PP.85-87)

لم تكن تلك المحاولات بعيدة عن اهتمام ومتابعة السفير الإسباني في إنكلترا "بيدرو دي ايالا"(**)Pedro De Aylala، الذي كتب للملك فرديناند والملكة إيزابيلا الأولى قائلاً: (Towns,2019, P48-49)"**على مدى السنوات السبع الماضية، جهز تجار بريستول عِدّة سفن من أجل البحث عن جزر جديدة**" زار الملك هنري السابع بريستول، وأطلع على أوضاع الميناء، وأستمع الى مشاكل التجار، وذكروا أسباب فشل رحلاتهم السابقة في البحث عن جزر جديدة، وعجز إمكاناتهم العلمية والتقنية في تحقيق إنجازات استكشافية، أسوةً ببقية البلدان المجاورة لهم. (Ruddock, 1966, P.235)

رحلة جون كابوت إلى إنكلترا:

ارتبط جون كابوت بعلاقات تجارية ومالية مع تجار إنكلترا، بسبب عملهِ بالشركة التجارية في البندقية فطبيعة عملهِ في تلك الشركة اقتضت قيامهِ بالسفر لعِدّة بلدان في الشرق والغرب، من ذلك زيارته لمملكة إنكلترا سنة ١٤٨٢م، وسنة ١٤٨٤م ومكث مع أسرته في لندن مدة من الزمن إذ كانت لندن مركز للجالية الإيطالية ومقراً للمصرفيين الإيطاليين المقيمين في أنكلترا، وبدأ يروج لأفكاره الاستكشافية ويعرضها على الإنكليز الذين أعجبوا بها. (Winsor,1884, P.5)

وهنا يطرح السؤال الآتي، لماذا لم يستثمر جون كابوت فرصة وجوده في إنكلترا خلال تلك المدة من أجل القيام برحلته الاستكشافية؟

(*)العصبة الهانزية: كلمة هانز المانية مشتقة من اللغة الغوطية، وتعني الجمعية، والعصبة الهانزية كانت عبارة عن اتحاد تجاري بين مجموعة من المدن الأوربية والتجار الأوربيين في مناطق ألمانيا وسواحل أوربا الشمالية وبحر البلطيق، نشأت نتيجة الأخطار التي كانت تهدد التجارة في العصور الوسطى، سيطرت تلك العصبة على النشاط التجاري شمال أوربا ما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين. (Ruddock, 1966, P.225-233)

(**) بيدرو دي إيالا: دبلوماسي ورجل دولة إسباني من الأُسر النبيلة في مقاطعة توليدو الإسبانية يعدّ من أبرز الدبلوماسيين في القرن السادس عشر، كان سفيراً لإسبانيا في كل من إنكلترا واسكتلندا، تمتع بذكاء وحنكة سياسية واسعة، أثر بشكل بارزٍ ومهمٍ في تقريب وجهات النظر بين هنري السابع وجيمس الرابع، توفي سنة ١٥١٣م. (Encyclopedia Britannica, 1990, P.414)

والجواب برأي الباحثة يعود إلى أوضاع إنكلترا السياسية غير المستقرة وقتذاك بسبب استمرار الصراع بين الارستقراطية المتنافسة حول العرش إبان حرب الوردتين (١٤٥٥-١٤٨٥م) وكما ذكرنا آنفاً فأنه التقى بمجموعة من التجار الإنكليز في لشبونة، وأخبروه بتطور الأوضاع السياسية في بلدهم واستقرارها بعد تولي الملك هنري السابع الحكم وانتهاء تلك الحرب، فقرر الذهاب معهم سنة ١٤٩٥م، وكان خط رحلتهم التجارية يقتضي النزول في آيلسندا لتصريف بضاعتهم هناك، وفي أثناء إقامتهم في تلك الجزيرة اعترض حاكم آيسلندا على نزولهم فيها، وأمرهم بالرحيل عنها لكنهم لم يستجيبوا لذلك، فوقع القتال بينهم أسفر عن إزهاق روح حاكم الجزيرة (Ruddock, 1966, P.234)، الأمر الذي أغضب ملك الدنمارك لوقوع الجزيرة تحت حكمهِ، فوجه أوامره بمصادرة سفن التجار الإنكليز، فتدخل جون كابوت وسيطاً لحل النزاع بين ملك الدنمارك والتجار الإنكليز، راجياً من الملك إصدار العفو عنهم، وقد تكللت مساعيه بنجاح كبير وأطلق سراح السفن الإنكليزية ببضائعها. (Syme, 1972, P.34)

وقد أكبر هؤلاء التجار عملهِ، وأخبروا الملك هنري السابع بموقفهِ وطلبوا منهُ أن يفسح لهُ المجال للقيام برحلات استكشافية باسم إنكلترا، ولاسيّما أنهُ يملك من المؤهلات ما ترشحهُ لتلك المهمة، فهو يمتاز بالفطنة والكياسة ويملك خبرة عالية في استخدام البوصلة والاسطرلاب ورسم الخرائط، ويتمتع بفهم ودراية بالفنون الملاحية. (Syme, 1972, P.34)

وصل جون كابوت إلى بلاط الملك هنري السابع، في سنة ١٤٩٦ وعرض مشروعه في الوصول إلى طريق جديد للشرق عبر المحيط الأطلسي، وترأس الملك لجنة خاصة للاستماع إلى آرائه. تألفت من أعضاء المجلس الخاص بالملك وعدد من التجار والمهتمين بشؤون الملاحة بالمقابل حمل جون كابوت معهُ مجموعة من الخرائط منها نسخة لخارطة الشريف الأدريسي للأرض، ونسخة من خارطة العالم المسلم البيروتي (٩٧٣-١٠٤٨) والتي نشرها في كتابه (التفهيم لأوائل صناعة التنجيم) لبيان موضع البحار، وأشار إلى نتائج رحلاته للشرق(Wear,1897,P.34)، وذكر أن تكاليف الوصول إلى الصين وجزيرة سيبانغو (Cipango) اليابان أقل بكثير من تكاليف الوصول إليها عن طريق البلاد العربية والإسلامية، وأكدّ أنهُ عند وجوده في مكة المكرمة سأل التجار والبحارة القادمين من تلك البلدان عن مديات المسافة التي قطعوها في تلك الرحلات، فذكروا لهُ بأن الطريق مقسمة على محطات كثيرة، والبضائع تُحمل بواسطة قوافل قاطعة بذلك مسافات طويلة، وبذلك استخلص أن الصين واليابان أقرب إلى شمال أوربا منها إلى البلاد العربية(Bourne, 1868, P.24)، اعتماداً على نظرية كروية الأرض، ودراسة العالم أحمد بن كُثير الفرغاني الذي حدد قطر الآرض .(Bourne, 1868, P.25).

وأشار جون كابوت إلى رحلة كرستوفركولومبس، الذي اتجه عبر المحيط الأطلسي نحو الجنوب، في حين يرى أن الاتجاه نحو الشمال الغربي أفضل من ذلك الطريق، استناداً إلى الخرائط التي رسمها العرب والمسلمون لقارة آسيا، التي وضحت بدقة وجود ممر مائي يفصل بين يابس شمال غرب أوربا والساحل الشمالي الشرقي لقارة آسيا. (الحايك، ١٩٩١، ص١٤١)

أثار حديث جون كابوت وأفكاره الملك هنري السابع ورجال بلاطه، وحصل على الدعم والتأييد لمشروعه، وفي الخامس من آذار سنة ١٤٩٦، صدّر ترخيص من الأخير لجون كابوت وابنائه الثلاثة، منحهم بموجبهِ السلطة الكاملة والحرية في الملاحة للمناطق جميعها التي سيتم اكتشافها في أي جزء من العالم وتحت راية ملك إنكلترا، ولهم الحق أن يستولوا عليها كاتباع وممثلين لإنكلترا دون أن يتردد عليها أو يزورها أي من رعايا إنكلترا إلا بعد الحصول على ترخيص وإلا فإنهُ سيتعرض للعقوبة. (Wear,1892, P.98)

وحدّد عدد السفن المستخدمة في تلك الرحلة بخمس سفن مهما كانت حمولاتها، على أن تكون التكاليف على نفقتهم الخاصة، وأن تكون للملك نسبة خمسة بالمئة من الأرباح جميعها المتحصلة من نتائج تلك الاستكشافات.

(https://www.heritage.nf.ca/toc/exploration-table-of-contents.phpexpearly)

وهنا لابدّ من السؤال الآتي، كيف استطاع جون كابوت إقناع الملك هنري السابع ومجلسهِ بمشروعهِ على الرغم من علمه برفض الملوك الآخرين؟

وللإجابة عن ذلك نشير إلى أن الدراسات التي تناولت سيرة الملك هنري السابع بينت مدى اهتمامه بالعلوم الحديثة، فهو يميل نحو التطور، وقد أصبح بلاطهِ يعج بالعلماء والمفكرين والمعماريين من جنسيات مختلفة وأغلبهم من الولايات الإيطالية، فضلاً عن ذلك فقد جاءت أفكار كابوت ملائمة لتطلعات الملك هنري السابع في استعادة إنكلترا لمكانتها الدولية ومنافسة الممالك الأوربية الأخرى في ذلك المجال.

واللافت للنظر أن أحد بنود الترخيص قد أشارت إلى أن تكاليف الرحلة ستكون على نفقته الخاصة وإلى ذلك تشير الباحثة الى أن الملك هنري السابع كان تأجراً قبل أن يتولى عرش إنكلترا، وعرف الطرائق التي يستثمر بها أموالهِ، فقد وصفّ بالحرص الشديد عليها، وكان جون كابوت في رأيه مجرد مغامر، على الرغم من ذلك، سجل في صك الترخيص حقوق التاج في حال تحقيق كابوت نتائج من رحلته، كما أن الأخير كان يدرك تماماً أن الذهب سيذهب للتاج في حال وصولهِ إليه.

إلى جانب ذلك، لم يفِ تجار برستول بالتزاماتهم المالية تجاه تلك الرحلة، فحصل على الدعم المالي من فرع الشركة التجارية باردي الفلورنسية (Bardi Company) الموجودة في لندن، وقّدم لهُ المال على دفعتين، سجلّها محاسب الشركة الفلورنسية، فقد جاء في نص الوثيقة(Bruscoli,2012, P.379) جون كابوت، من البندقية في ٢٧ نيسان ١٤٩٦، تم خصم(١٠) جنيهات استرلينية من (٥٠) نوبل (Noble)(*)مدفوعة نقداً أمر بها رئيس الشركة في لندن حتى يتمكن من الذهاب، والعثور على الأرض الجديدة، أما الدفعة الثانية فكانت في الثاني من آيار، وبلغ مجموع الدفعتين (١٦) جنيه استرليني و(١٣) شلن و(٤) بنسات، أي ما يعادل (٥٠) نوبل. (Bruscoli, 2012, P.372).

بدأ جون كابوت رحلته الأولى في سنة ١٤٩٦ ولا يعرف شيء عنها باستثناء كونه توجه إلى بريستول في السادس من أيار من العام نفسهِ، وحصل على سفينة واحدة كانت جاهزة للإبحار.

حرص كريستوفركولومبوس على متابعة خطط جون كابوت، واستخدم أحد التجار الإنكليز العاملين في إسبانيا ويدعى جون داي (John Day) لتزويده بالتفاصيل الدقيقة لرحلة جون كابوت وما سيجده(حسين، ٢٠٢٢، ص٦٤).

ومما جاء في رسالة جون داي (Wear, 1897, P.41) "**بما أن سيادتك تريد معلومات تتعلق بالرحلة الأولى، فإليك ما حدث ذهب أي جون كابوت بسفينة واحدة، أربكهُ طاقمهُ، وكان يعاني من نقص المؤن، وواجه طقساً سيئاً**"، كانت تلك الرسالة من الوثائق المهمة التي وضحت مسار الرحلة الأولى لجون كابوت ، وبينت العقبات التي مرت بها ، إذ أنطلقت مع بداية فصل الشتاء ، وجد جون كابوت صعوبة في التفاهم مع البحارة ، بسبب عدم أتقانه اللغة الانكليزية ،وحينما لاحظوا شدة الرياح المحيطية ، شعروا بالخوف ، وأجبروه على أنهاء الرحلة. (Ruddock, 1966, P.254)

حاول جون كابوت أن يتلافى الأخطاء التي مرت بهِ في رحلته الأولى ،من ذلك أن الدعم الذي حصل عليه من الملك لم يكن كافيا"، لذا قرر الاتصال بالتاجر والرحالة وليام ويستون وأقنعه بالمشاركة في مشروعه الجديد، حيث استأجر سفينة سميت باسم ماثيو Matthew يعتقد أنها على اسم زوجته ماثيا، وضمت ثماني عشر بحاراً، وقد رافق سباستيان والدهُ في تلك الرحلة، انطلقت الرحلة في الثاني من أيار ١٤٩٧ من ميناء بريستول.(Shaw,1910, P.36)

(*) نوبل: عملة ذهبية إنكليزية قديمة تعادل (٦) شلن و (٨) بنسان.
(https://www.merriam-webster.com/dictionary/noble)

سار كابوت بمحاذاة الساحل الغربي لإيرلندا، ثم اتجه شمالاً لمدة شهر كامل، فقطع مسافة (١٥٠٠) ميل إلى الشمال، واستمرت الرحلة حتى شوهدت اليابسة في ٢٤ حزيران ١٤٩٧م، إذ نزل في جزيرة نيوفاوندلاند– في كندا حالياً– فاستولى على الأرض باسم ملك إنكلترا، ورفع العلم الإنكليزي (Towns, 2019, P.54)، وأتَّم استكشاف مجموعة من الجزر، وأطلق عليها اسماء مختلفة وهي جزيرة سانت جون، وكيب جون، وجزر الثالوث، وكيب إنكلترا، وتوافق تلك الأماكن ما يعرف اليوم باسم مضيق كابوت، وهو بعرض سبعين ميلاً بحرياً يمتد بين جنوب غرب نيوفاوندلاند وشمال جزيرة كيب بريتون. (Jones and Candon, 2016, P.47)

اعتقد جون كابوت خطأً أنه وصل إلى الساحل الشمالي الشرقي لآسيا، وقد عادَ إلى بريستول في ٦ آب ١٤٩٧ حيث أستقبلهُ الملك هنري السابع بحفاوة كبيرة، وصف كابوت المنطقة المكتشفة بكونها جيدة ومعتدلة المناخ، فضلاً عن غناها بالأسماك مما ينهي اعتماد إنكلترا على أسماك آيسلندا، وفي العاشر من الشهر نفسه كافأه الملك بعشرين جنيه استرليني، ومنحهُ لقب "الأدميرال العظيم" Great Admiral". (Firstbrook, 1997, P.141)

قدم جون كابوت مشروع آخر للملك في مطلع سنة ١٤٩٨م، تضمن القيام برحلة جديدة إلى الجزيرة التي اكتشفها، ومن ثم الإبحار غرباً على طول الساحل الذي وصل إليه والتقدم إلى جزيرة سيبانغو. (Hill, 1968, PP.304–308)

وافق الملك على ذلك المشروع، وأصدر ترخيصاً في الثالث من شباط ١٤٩٨م للقيام برحلة جديدة، وفي آيار من العام نفسه بدأ كابوت رحلته الجديدة مع تجهيز طاقم جيد تلك المرة، إذ تكونت الرحلة من خمس سفن كبيرة مع طاقم من ثلاثمئة بحار متمرس، وقد جهزت الرحلة بمؤونة لمدة عام، كما جهزت بسلع مختلفة مثل القماش والسلع المصنعة أرسلها تجار من لندن وبرستول، لاختبار ما يريدهُ الصينيون و اليابانيون. (Brett, 1871, P.139)

شارك مجموعة من الرهبان الإيطاليين بسفينة خاصة بهم في تلك الرحلة، وقد واجهت عاصفة شديدة بالقرب من الساحل الايرلندي فانسحبت من الرحلة واضطرت للرسو في ايرلندا(Jones and Condon,2016, P.33)، تتبع كابوت مسار رحلته القديمة، إلا أن الأوضاع الجوية كان لها رأي آخر، حيث اجتاحت عاصفة كبيرة المحيط ودفعت بسفينة كابوت نحو الشرق، واستمرت تلك العاصفة أربع وعشرين ساعة، أدت بكابوت وسفينتة إلى الاصطدام بالصخور بقوة، على الرغم من محاولات كابوت ورجالهِ انقاذ الوضع والسيطرة عليها إلا أن السفينة انقلبت على جانبها. (Brett,1871, P.141)

لجأ كابوت ومن معه إلى ساحل "كريتس كوف" Grates Cove في نيوفاوندلاند، وأمر برفع كل شيء من السفينة ونقلهِ إلى اليابسة، وطلب من مساعديه البحث عن الطعام والشراب وعدم الابتعاد كثيراً لأن المكان كان مجهولاً، وفي أثناء البحث وجدوا عدد كبير من الأرانب والغزلان وأنواع كثيرة من الأشجار (Williamson, 1929, P.26)، ولاحظ أن هناك أغلب مقومات الحياة، إلى أن حدث اللقاء الأول مع سكان تلك الأراضي، فاعتقد أنهُ وجدّ سكان الصين وآسيا، ألا إنه من اطلاعهِ على وصف الصينيين، أدرك أنهم أقوامٌ أخرى وإنهُ في مكان ليس بالشرق الذي كان يطمح للوصول إليه، رغم أن ذلك المكان ليس بقليل الخيرات، فبدأ باكتشاف مكامن الثروة فيه، وبدأت عمليات المقايضة من سكان الجزيرة الأصليين، فالمعروف أن الهنود الحمر هم السكان الأصليين للجزيرة ولا يملكون من الحياة العصرية شيء سوى الأشياء البدائية. (Firstbrock,1997, P.138)

كان الهنود الحمر يراقبون جون كابوت وهو يعمل على إصلاح السفينة، فقدموا لهُ الأسماك الطازجة والجلود والفراء، في محاولات منهم للتقرب والتعرف عليه، إلا أن اللغة غير المفهومة للطرفين وقفت عائقاً بينهم(Hill, 1968, 309–312)، هناك روايات عِدّة حول مصير تلك الرحلة، سنشير إليها في فقرة وفاته، نذكر من ذلك قيام جون كابوت

بإصلاح سفينته، والإبحار على طول ساحل البر الرئيس من كندا إلى فنزويلا –على الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية– للبحث عن اليابان التي كان يعرف أنها تقع قبالة سواحل الصين في الرحلة تم اعتراضهِ وسفنهِ بالقرب من ساحل فنزويلا من المستكشف الإسباني "ألونسودي أوجيدا"[*] Alonso de Ojeda المعروف بالوحشية والقسوة فقتل جون كابوت وطاقمهِ وسرق خرائطه.(https://www.ecured.cu/Alones-d-ojeda)

يتضح مما سبق، أن جون كابوت قد وضع الأسس لحركة الاستكشافات الجغرافية الإنكليزية، وسهّل عملية إنشاء المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية في وقتٍ لاحق.

وفاته:

اختلفت المعلومات حول وفاة جون كابوت، فمن المصادر التاريخية من ذكرت غرق سفينتهِ بعد رحلة عام١٤٩٨م وتحطم أشلائها(Malam, 1997, PP.45-46)، ومنهم من ذكر أن الهنود الحمر قتلوا جون كابوت وطاقمهِ، أو أنهم ماتوا جوعاً في تلك الجزيرة(Jones and Condon,2016, P.65)، في حين أشارت مصادر أخرى إلى قتلهم جميعاً على يد الونسو دي أوجيدا(Story, 1987, P.15)، في حين أن بعض الدراسات الحديثة تنفي ذلك وتؤكد أن هناك بعض الوثائق التي تدل على وجود كابوت في إنكلترا سنة ١٥٠٠م (Hill,1968, P.312) وتلك الدراسات هي الأرجح والأقرب للحقيقة فمن خلال الاطلاع على إحدى الوثائق التاريخية نجد فيها ما يخالف رواية موت كابوت في ١٤٩٨م ففي إحدى الرسائل الخطية –المنشورة على أحد مواقع شبكة الانترنت العالمية– التي بعثها هنري السابع إلى أحد مستشارية في الثاني عشر من آذار ١٤٩٩م، يطلب فيها تعليق تقديم أمر قضائي ضد التاجر وليام ويستون لأنهُ سيقدم الدعم المالي لبعثة جديدة (مجلة المعرفة، ١٩٧٦، ع١٦٩، ص٢٦٩٨)، وما يشار إليه بهذا الصدد فأن وليام ويستون من العاملين بموجب ترخيص الملك هنري السابع في تقديم الدعم والتسهيلات لرحلة جون كابوت الثالثة، ومن أبرز المناصرين والداعمين لرحلاتهِ، لذلك أمر الملك بإلغاء الأمر القضائي ضدهِ، إذ لم يعرف عنه قيامهِ بتمويل أي رحلة استكشافية أخرى سوى رحلات كابوت (Shields, 2002, P.46)، وخير دليل على ذلك وجود خارطة في متحف العاصمة الإسبانية مدريد مؤرخة في سنة ١٥٠٠م كُتب عليها عبارات تصف جون كابوت بأنه أول مستكشف أوربي لامست أقدامهُ قارة أمريكا. (Shields, 2002, P.49)

يلاحظ مما سبق، الغموض الذي اكتنف سيرة جون كابوت وإنجازاته في اكتشاف العالم الجديد، وذلك يعود إلى كونه لم يكن يتحدث كثيراً عن نفسه، ولم يكتب مذكراته، ولم يحاول جذب الانتباه إليه، فقد علم شدة التنافس بين الممالك الأوربية وقتذاك، من أجل البحث عن الذهب والثروة، واجهت جون كابوت جملة من العقبات في رحلاته من ذلك صعوبة تحديد المواقع بشكل صحيح، بسبب قصر المسافات بين خطوط الطول في الجزء الشمالي من المحيط الأطلسي، واختلافها عن المسافات في بقية المناطق، وصعوبة رؤية الصخور الجليدية بسبب الضباب إلى جانب سوء المناخ وقلة معرفته بحركة الرياح المحيطية وقتذاك، فضلاً عن الأخطاء الكبيرة في الخرائط المستخدمة في رحلاته، والتي مدت قارة آسيا وجعلتها أقرب بكثير من قارة أوربا من جهة الغرب، وعدم معرفة الجغرافيين بوجود قارتين كبيرتين ومسطح مائي كبير هو المحيط الهادئ يجب اجتيازها قبل الوصول إلى قارة آسيا بحسب ما جاء في نظرية كروية الارض.

(*) الونسو دي أوجيدا: ولد سنة ١٤٦٦ في إسبانيا، ملاح ومستكشف إسباني، كان من أوائل المستكشفين لأمريكا بعد كريستوفركولومبوس، إذ رافق كولومبوس في رحلته الثانية وشارك بنشاط في اكتشاف الذهب وفي الإجراءات الأولى للسيطرة على السكان المحليين لجزيرة هسبانيولا، وفيما بعد اكتشف الساحل الفنزويلي والكولوجي. (حسين، ٢٠٢٢، ص٧١)

الخاتمة:

كانت فكرة القيام برحلة استكشافية للوصول إلى مصادر التوابل في جنوب شرق آسيا تراود جون كابوت منذ سنوات مبكرة من حياته، سيما وأنهُ ينحدر من جنوى موطن أشهر بحارة العالم وملاحيه، وبانتقالهِ إلى البندقية اكتسب معرفة واسعة بفنون البحر ونشاطاته، ولكن مع وجود بحارة مثل كريستوفركولومبوسوفاسكوديكاما، كان من الصعوبة بمكان أن يأتي جون كابوت لينافسهما، خاصة وأن كولومبوس قد حظيَ بدعم إسباني منقطع النظير لطالما حلم وسعى جون كابوت لنيله لكن دون جدوى.

وحينما تسنى لهُ تنفيذ مشروعهِ الاستكشافي بمعية ملك إنكلترا هنري السابع فقد أخطأت بوصلتهِ وضلت الطريق وبدلاً من الوصول إلى آسيا منبع التوابل والكنوز فقد حطّ رحالهِ في العالم الجديد ووصل إلى أمريكا الشمالية، ولا يمكن عَدّ محاولة جون كابوت لإيجاد ممر يربط أوربا بالشرق الآسيوي قد باءت بالفشل، بل قادتهُ الأقدار لتحقيق فتح مهم لإنكلترا، استثمرته لاحقاً في توسيع نفوذها غرباً وفرضت الهيمنة على أمريكا الشمالية وسواحل كندا الغنية بالثروة السمكية وهو ما لم يشهدهُ جون كابوت إذ عاجلتهُ المنية وتوفي وهو في باكورة تنفيذ مشروعه.

قائمة المصادر:

أولاً. المصادر العربية:

١- أباظة، فاروق (د.ت): أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر، ط٢، دار المعارف، القاهرة.

٢- الحايك، سيمون (١٩٩١): العرب شاركوا في الاكتشاف أم كرستوفركولومبس، (د.م).

٣- حسين، أسماء عبد الله عزيز (٢٠٢٢): البحرية الإنكليزية في عهد آل تيودور ١٤٨٥-١٦٠٣، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الموصل.

٤- داودي، مصطفى (٢٠١٢): الترجمة في الأندلس ودورها في النهضة الأوربية الحديثة، دار التنوير، الجزائر.

٥- دسوقي، ناهد إبراهيم (١٩٩٨): دراسات في التاريخ الأمريكي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٦- عبد العليم، أنور (١٩٩٠): الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت.

٧- عبوش، أحمد صالح (٢٠١٩): أثر نظرية كروية الأرض على كرستوفركولمبوس في اكتشاف العالم، المؤتمر الدولي الأول في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة اليرموك، ج١.

٨- عطية الله، أحمد (١٩٦٨): القاموس السياسي، ط٣، دار النهضة العربية، القاهرة.

٩- عوض، لويس (١٩٨٧): ثورة الفكر في عصر النهضة الأوربية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة.

١٠- غربال، محمد شفيق(٢٠١٠): الموسوعة العربية الميسرة، الدار النموذجية، بيروت.

١١- فولو، دوروثي دينين، وجيمس فولو (٢٠١٤): البحر والحضارة، ترجمة: خلود الخطيب، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي.

١٢- كلوزييه، رينيه (١٩٨٢): تطور الفكر الجغرافي، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق.

١٣- مجلة المعرفة (١٩٧٦): القاهرة، المجلد (١٥)، العدد ١٦٩.

١٤- مقبل، فهمي توفيق (٢٠٠٣): دور العرب والمسلمين في اكتشاف العالم الجديد، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان.

١٥- هامرتن، جون (د.ت): تاريخ العالم، مكتبة النهضة المصرية، ج٦، القاهرة.

١٦- الوسمي، عباس حسن عبيس (٢٠١٦): إنكلترا في عصر هنري السابع ١٤٨٥-١٥٠٩م، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية- جامعة القادسية.

ثانياً. المصادر الأجنبية:

1- Bastable, Tony (2004): John Cabot, World Almana Library, U.S.A.

2- Bourne, H.E. Fox (1868): English Seamen Under The Tudors, Vol.I, Richard Bentley Co., London.

3- Brett, Edwin John (1871): Brett's Illustrated Naval History of The Great Britain, London .

4- Bruscoli, Francesco Guidi (2012): John Cabot and His Italian Financiers, Journal Historical Research, Vol.85, No. 229, University of Florence, August 2012.

5- Champion, Neil (2004): John Cabot, Heinemann Library, Chicaho.

6- Firstnrook, Peter (1997): The Voyage of The Matthew, John Cabot and The Discovery of North America, Lawrence Allen limired, London.

7- Harrisse, Henry (1896): John Cabot The Discovery of North America and Sebastian His Son, Benjamin Franklin Co., London.

8- Hill, Kay (1968): The Story of John Cabot, New York.

9- Jones, Evan T. and Condon, Margaret M. (2016): Cabot and Bristol's Age of Discovery Voyages 1480-1508, University of Bristol.

10- Malam,John,Tell Me About Explorers Jon Cabot,1997,London .

11- Morison, Samuel Eliot (1971): The European Discovery of America: The Northern Voyages, A.D. 500-1600, New York.
12- Quinn, D.B (1974): England and The Discovery of America 1481-1620, London.
13- Ruddock, Alwyn A. (1966): John Day of Bristol and The English Voyages a Cross The Atlantic Before 1497, The Geographical Journal, Vol.132, No.2, June,1966.
14- Shaw, Edward R. (1910): Discovers and Explorers, American Book Co. New York.
15- Shield, Charles J. (2002): John Cabot and The Rediscovery of North America Chelsea House, U.S.A.
16- Story ,Josph(1987):Commentaries On The Constitution Of The United States,Durham.
17- Syme, Ronald (1972): John Cabot and His Son Sebastian's, Williams Morrow and Company Inc, New York.
18- The New Encyclopedia Britannica (1990): Vol.2, Vol.4,U.S.A.
19- Towns, Lydia (2019): The Opening of The Atlantic World: England's Transatlantic Interests During The Reign of Henry VIII, University of Texas, 2019.
20- Wear, George Edward (1897): Gabot's Discovery of North America, London.
21- Williamson, James A. (1929): The Voyages of The Cabots and The English Discovery of North America Under Henry VII and Henry VIII, London.
22- Winsor, Justin, (1884): Narrative and Critical History, V.1, Boston and New York.

ثالثاً. شبكة المعلومات (الأنترنت):

1- https://www.merrim-webster.com/dictionary/noble.
2- https:// www,ecured.cu/Alonso-d-ojeda.
3- https://www.heritage.nf.ca/toc/exploration-table-of-contents.phpexpearly